

تفسير ابن كثير

الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال : (الآن وقد عصيت قبل) أي

: أهذا الوقت تقول ، وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ؟ (وكنت من المفسدين

(أي : في الأرض الذين أضلوا الناس ، (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا

ينصرون) [القصص : 41] وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في

حاله ذاك من أسرار الغيب التي أعلم الله بها رسوله ، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل ،

رحمه الله : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن

يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما قال

فرعون : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) قال : قال لي جبريل : [يا

محمد] لو رأيته وقد أخذت [حالا] من حال البحر ، فدسسته في فيه مخافة أن تناله

الرحمة "ورواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم ، من حديث حماد

بن سلمة ، به وقال الترمذي : حديث حسن . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن

عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال لي جبريل : لو رأيته وأنا آخذ من حال البحر ، فأدسه في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة " . وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا ، وابن جرير أيضا ، من غير وجه ، عن شعبة ، به وقال الترمذي : حسن غريب صحيح . ووقع في رواية عند ابن جرير ، عن محمد بن المثنى ، عن غندر ، عن شعبة ، عن عطاء وعدي ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، رفعه أحدهما - وكأن الآخر لم يرفعه ، فالله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد الله بن يعلى الثقفي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أغرق الله فرعون ، أشار بأصبعه ورفع صوته : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل) قال : فخاف جبريل أن تسبق رحمة الله فيه غضبه ، فجعل يأخذ الحال بجناحيه فيضرب به وجهه فيرمسه . وكذا رواه ابن جرير ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبي خالد ، به موقوفا وقد روي من حديث أبي هريرة أيضا ، فقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن عنبسة - هو ابن سعيد - عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، رضي الله

عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيتني

وأنا أخطه وأدس من الحال في فيه ، مخافة أن تدركه رحمة الله فيغفر له " يعني :

فرعونكثير بن زاذان هذا قال ابن معين : لا أعرفه ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : مجهول ،

وباقى رجاله ثقات . وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف : قتادة ، وإبراهيم التيمي ،

وميمون بن مهران . ونقل عن الضحاك بن قيس : أنه خطب بهذا للناس ، فالله أعلم .